المنهج البياني في تفسير آيات الذكر الرباني

الأستاذة: زينب عقبان[*]

سنتطرق في هذا الموضوع إلى التعريف بالمنهج البياني في تفسير آيات الذكر الرباني مع العلم أن هذا المنهج يخص البيان، والبيان لا يقتصر على قسم خاص من أقسام البلاغة العربية وإنما يتّسع إلى مجالات كثيرة سنبينها من خلال التعريف بهذا المنهج.

تعريف المنهج:

-المنهج الطريق الواضح، كالمنهج والمنهاج، وتتابع النفس، ونهج وضح وأوضح ونهج الدابة: سار عليها ونهج الثوب: أخْلَقَهُ، ونهج الطريق سَلكه، واستنهج الطريق: صار نهجا، ونهج فلان سبيل فلان: سلك مسلكه[1].

وأيضا: نهج الطريق: سلكه، ونهج الأمر: أبانه وأوضحه، ونهج الشيء: ضبطه.

ونَهِج الشخص: تتابع نَفسُه من الإعياء وكثرة الحركة أو شدّتها.

ونهج الثوب وغيره: بلي وأَخْلَقَ.

وانتهج الطريق: اسْتبانَه وسَلَكَهُ، وسَار عليه.

ومنهج مِنْهَجٌ مِنْهاج مناهج: طريق واضح، ووسيلة محددة توصل إلى غاية معينة[2]. والبيان: (الكشف عن الشيء).[3]

---

[*] أستاذة محاضرة بكلية العلوم الإسلامية -جامعة الجزائر (1)-

وبان الشيء بيانا، وتبين الشيء ظهر وانكشف، والتبين، الإيضاح والوضوح والبيان والفصاحة واللسن، وكلام بيّن فصيح، والبيان الإفصاح مع ذكاء، والبيّن من الرجال الفصيح والبيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ وأصله الكشف والظهور.[4]

والتفسير لغة: مأخوذ من الفسر و(الفسر بيان الشيء وإيضاحه[5]).

أو الإبانة وكشف المغطى.[6]

يُقال فسر الشيء يفسر، بالكسر والضم أبانه.[7]

وفي **الاصطلاح**: (إنه علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولها وأحكامها الإفرادية والتركيبة ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب).[8]

ومنها أنه علم (يعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيّه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخرج أحكامه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات).[9]

والتفسير في الاصطلاح: علم يُبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.[10]

وتسهيلا للبحث يمكن أن نقسم التفسير إلى عدة أنواع حسب الموضوعات الأساسية التي اهتم بها:

1-التفسير بالمأثور.

2-التفسير بالرأي: أ-بالرأي الجائز-ب-بالرأي المذموم.

3-التفسير الصوفي.

4-التفسير الفلسفي.

5-التفسير الفقهي.

6-التفسير العلمي.

7-التفسير الاجتماعي.

8-التفسير الأدبي.[11]

لا الإعجاز البياني أو اللغوي في القرآن الكريم.

فالقرآن معجز في جميع المستويات اللغوية.

1-في المستوى الصوتي.

2-في المستوى الصرفي.

3-في المستوى التركيبي.

4-في المستوى الدلالي والبلاغي.

وعلى أثر ذلك تظهر لنا الأنواع الآتية من الإعجاز:

1-الإعجاز الصوتي.

2-الإجاز الصرفي.

3-الإعجاز التركيبي.

4-الإعجاز البلاغي.

5-الإعجاز القصصي وغيرها.

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقع أسيرا للبيان القرآني، حيث كان ذاهبا ليفتك بأهل بيته فإذا آيات كريمات من سورة طه تنسخ

وجوده وتبدل عنفه وكفره تسليما وإيمانا.[12]

فالبيان القرآني له أوجه ودلالات وتأثيرات، ونبرهن على هذا الإعجاز الرباني عن طريق الكشف عن الأساليب والتعابير القرآنية لذلك ندرس في هذا الموضوع الطريق الواضح البين في كتاب الله العزيز دراسة لغوية بلاغية بيانية مسترشدين بآراء المفسرين واللغويين والبلاغيين والأدباء.

الدراسات البيانية عند القدامى.

لقد تعددت المناهج التفسيرية تبعا لتعدد الاتجاهات التي ولدتها ثقافة كل مفسر وتبحره في بعض العلوم وعلى الرغم من هذا الاختلاف في الاتجاهات والمناهج فإن المنهج الأصولي في تفسير القرآن يتفرع إلى مناهج ومدارس عدة منها: اللغوي والبياني، والعقلي، والنقلي.[13]

وأول كتاب نلاحظه في عصر التدوين مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت209هـ) [14]، فأبو عبيدة في مجاز القرآن يمثل التيار اللغوي مع قليل من البحث البياني نسبيا.[15]

ويعتبر هذا الكتاب مرحلة أولية من مراحل الكشف عن إعجاز القرآن، ويلاغته، كما يعتبر مرجعا لكثير من الدراسات اللغوية والأدبية التي تَلَتْ.

(ونستطيع مطمئنين أن نقرر أن كلمة مجاز إنما هي تسمية لغوية تعني التفسير، فالمعرفة بأساليب العرب، ودلالات ألفاظها ومعاني أشعارها وأوزان ألفاظها ووجوه إعرابها وطرق قراءتها كل ذلك سبيل موصل إلى المعنى فمجاز القرآن يقصد أبو عبيد به (المعبر) إلى فهمه فالتسمية لغوية وليست اصطلاحية[16]).

كان يشرح آية آية، ثم يُتبعها بحديث في المعنى نفسه، ثم بشاهد شعري قديم، أوبكلام العرب الفصيح كالخطب والأمثال والأقوال المأثورة[17].

ثم يأتي بعده الجاحظ وإن لم يترك كتابا مستقلا في التفسير ولكنه يعد رجل التفسير البياني الأول، لأنه ساق أمثلة قرآنية على ما يرد من فنون البلاغة وأساليب البيان، فأطال في الاستشهاد والشرح، ووقف عند كثير من آياته محللا شارحا مهتديا إلى أسرار القرآن الكريم.[18]

فالجاحظ ينطلق من جهد بياني كبير في معرفة أسرار القرآن البلاغية وكتاباه (البيان والتبيين والحيوان) حوا على إشارات قرآنية توضح مذهبه البياني في تفسير القرآن الكريم.

فحديثه عن ألفاظ القرآن لم يسمع من أحد قبله إذ قال في كتابه البيان والتبيين: ﴿وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر...لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث، ولفظ القرآن الذي عليه نزل: أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سماوات لم يقل الأرضين ألا تراه لا يجمع لا الأرض أرضين ولا السمع أسماعا﴾.[19]

لقد اهتدى الجاحظ إلى أن القرآن قد يستعمل لفظا بعينه، فيستغني به عن ألفاظ، ويدل به على معان كثيرة وأسماء مجتمعة، فتكون اللفظة شاملة كلفظة ﴿مكلبين﴾ في قوله تعالى:﴿ **قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ**﴾.[20]

فاشتق لكل صائد، وجارح وكاسب، وباز، وصقر، وعُقاب، وفهد، وشاهين، وزُرق، ويُؤْيُؤْ، وبَاشِق الأرض من اسم الكلب.[21]

-الجوارح: الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والعقاب (مكلِّبين) المكلب اسم فاعل من كلّب أي المضري بالصيد من هذه الجوارح، والمروّض منها على الافتراس لأن الترويض أكثر ما يكون للكلب، فاشتق من لفظه لشيوع الغلبة عليه.[22]

ثم نأتي إلى ابن قتيبة عالم أهل السنة وخطيبهم، امتاز عن الجاحظ في دقّة التبويب والبعد عن الاستطراد، ولقد تجلى في تفسيره البياني مؤلفه الشهير (تأويل مشكل القرآن) يدل على امتداد سابق مثمر لسابقيه قرأ مجاز القرآن ووقف على أداء الجاحظ في الحقيقة والمجاز والكناية أو التعريض والإطناب والاقتصاد فوضع كل رأي في موضعه هذا ما جعل كتبه أسهل تناولا وأقرب مأخذا من كتب سابقيه.[23]

لقد وضح ابن قتيبة مقصده وهو الرد على من يجهلون الأسرار البيانية للأسلوب العربي.

ثم تأتي مرحلة مهمة بعد ابن قتيبة في العصر العباسي، وهم دارسو الإعجاز القرآني الذين دافعوا عن القرآن الكريم، فأكثروا من الرد فكتب الجاحظ (نظم القرآن) و(أي القرآن).

ثم جاء بعده الرماني (ت386هـ) والخطابي (ت388هـ) و(الباقلاني ت403هـ).

نفصل في أقوال هؤلاء، فقد جاء أبو الحسين بن عيسى الرماني صاحب النُكت في إعجاز القرآن، بحث في كتابه عن إعجاز القرآن البلاغي، فقد حدّد هدفه حين تدرّج من قضية الإعجاز عامة إلى الإغجاز البلاغي، وتناول هذه الناحية الأخيرة ووضعها في أعلى مراتب البلاغة، ووصف بلاغة القرآن في هذه الدرجة بأنها بلاغة معجزة، لأنها بلغت أقصى ما يمكن أن يصله التعبير باللسان العربي، فبلاغة البلغاء مهما بلغت فهي ممكنة، لكن بلاغة القرآن معجزة وليست في مقدور أحد.[24]

فالقرآن معجز لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مُضمنا أصح المعاني من توحيد وتحليل وتحريم، ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين أشتاتها حتى تنظيم تتسق أمر تعجز عنه قوى البشر.

وإذا كان الرماني قد تعرّض في باب (حسن البيان في مسألة نظم القرآن بمعنى التأليف، فإن الخطابي قد أكمل ما نقص عند الرماني، وأولى الأمر عناية أكبر فعرض للعبارة كوحدة متكاملة في لفظها ومعناها ونظمها.

وإذا كانت أهمية﴿ بيان إعجاز القرآن﴾ واضحة في مجال الدراسات القرآنية فإن تلك الأهمية انعكست على الدراسات الأدبية والنقدية وكان من آخر ما أفادته الدراسات القرآنية والأدبية معا تلك المحة الطريفة التي أشار إليها الخطابي والتي تعطي أهمية خاصة لذلك الأثر النفسي للأدب، وكان ذلك عندما ذكر أن هناك وجها آخر للإعجاز غير ما سبق من الوجوه، ولا يكاد يعتد به إلا القليل من المتبصرين.[25]

يقول الخطابي:« قلت في إعجاز القرآن وجها أخر...ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعة بالقلوب وتأثيره في النفوس فإنك لا تسمع كل ما غير

القرآن منظوما ولا منثورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى، ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور».[26]

اهتم كذلك القاضي الباقلاني بأسرار التعبير القرآني، حيث كانت فكرة النظم القرآني عند الباقلاني تعتمد أساسا على تلك الخصوصية التي يتفرد بها الأسلوب القرآني في نظمه ويتميز بها عن غيره من الأساليب، ولقد سار على منهج عملي في شرح بعض النماذج القرآنية الفريدة، ولقد تناولها باعتبارها وحدة فنية متكاملة، ومن ثم يتناول سورة من سور القرآن على أساس من هذه الوحدة المتماسكة، وأخذ في تحليلها من ناحية النظم، فتعرض لكل من ألفاظها ومعانيها، ومدى تآلفها في هذا النظم البديع، ومدى الصلة التي ترتبط الفاصلة القرآنية والنظم، كما قام بإبراز المعاني المقصودة من وراء التصوير القرآني للتعرف على ما نتكشف عنه من مظاهر الجمال ودلائل الإعجاز.[27]

تناول الباقلاني كل هذا وغيره عندما لفت الأذهان إلى سورة النمل فيقول:﴿تأمل السورة التي يذكر فيها النمل، والنظر كلمة كلمة وفصل فصل، بدأ بذكر السورة إلى أن بيّن أن القرآن من عنده فقال:﴿ **وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**﴾[28]...ثم وصل بذلك قصة موسى عليه السلام وأنه رأى نارا فقال لأهله امكثوا: ﴿ **إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ** ﴾.[29]

وقال في سورة طه في هذه القصة: ﴿**لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً**﴾[30]، وفي موضع ﴿**لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ** ﴾.[31]

فقد تصرف في وجوه وأتى بذكر القصة على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك، ولهذا قال: ﴿ **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ**﴾.[32]ليكون أبلغ في تعجيزكم، وأظهر للحجة عليهم.

جاء عبد القاهر الجرجاني بنظرية النظم في دلائل الإعجاز، أما مكانته في التفسير البياني لبعض الآيات فهي دليل رسوخه وتبصره في أسرار البيان، ولقد حلل بعض الصور

البلاغية في القرآن أجمل تحليل في قوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾.[33]

الشبه منتزع من أحوال الحمار وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم، ومشروع ثمر العقول، ثم لا يحس بما فيها ولا يشعر بمضمونها ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء، ولا من الدلالة عليه بسبيل، فليس له مما يحمل حظ سوى أنه يثقل عليه، ويكد جنبيه، فهو كما ترى مقتضى أمور مجموعة ونتيجة لأشياء ألفت وقرن بعضها إلى بعض.[34]

وبعده استفاد الإمام الزمخشري (538هـ) من الأسس النظرية في نظرية النظم التي جاء بها الجرجاني، وطبق ذلك الأمر في تفسيره الشهير الكشاف، فقد تكلم عن البيان وطرقه، وكانت دراسته غاية التوفيق والجمال البياني، ووضع معجمه اللغوي المتميز لخدمة هذا الغرض في بيان وجود الاستعمال الحقيقي والمجازي لألفاظ العربية، ليساعد ذلك كله على استجلاء مواطن الجمال في التعبير القرآني.[35]

جهود المحدثين في الدراسة البيانية

فمن الذين اهتموا حديثا بمنهج التفسير البياني نجد السيد جمال الدين الأفغاني من مؤسسي النهضة الإسلامية الحديث، لأنه تفطن إلى أهمية التفسير البياني للقرآن الكريم، واهتم بشرح الآيات، وتذوق طعمها وتبيان مقاصدها، وإن الأفغاني لم يخلف لنا تفسيرا واضحا كاملا كما فعل تلامذته إنما نشر مقالات في (العروة الوثقى في تفسير بعض الآيات وضحت لنا منهجه في التفسير الذي اتبعه تلامذته من بعده (فكان تفسيرا لبعض الآيات التي فسرها في مجالسه ودروسه، واضحة المعاني، سهلة بعيدة عن المصطلحات اللغوية الصعبة يفهمها كل مسلم)[36].

وهذا ما بينه تلميذه الأستاذ محمد رشيد رضا، قال الأستاذ محسن عبد الحميد:﴿والحق نستطيع أن تعد الأفعاني مؤسس المنهج الحديث في التفسر في القرن الرابع

عشر الهجري تكلم في أسسه، ووضح معالمه ودعا إلى النظر الدقيق في القرآن الكريم في ضوء ذلك حتى تعود هدايته إلى القلوب والعقول﴾ .[37]

-منهج الإمام محمد عبده في الوحدة الموضوعية.

ثم يأتي دور تلميذه الإمام محمد عبده، فقد اهتم بتحرير فكر الأمة من التقليد، وأكّد أن فهم الدين لا يكون إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم وتفسيره تفسيرا يمكن المصلحين من واجبهم في هداية الفرد وإصلاح المجتمع وهو ما يمكن تسميته بالتفسير الهدائي [38].

من أهم هذا المنهج التي أوردها في مقدمة تفسيره خلاصتها:

أ-بيان وجوه البلاغة بقدر ما يحتمله المعنى، وتحقيق الإعراب على الوجه الذي يليق بفصاحة القرآن وبلاغته.

ب-ممارسة الكلام البليغ ومزاولته وبيان محاسنه والوقوف على مراده، وفهم ما يمكن أن تهتدي إليه بقدر الطاقة البشرية.

جـ-فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها الله في القرآن، فإن كثيرا من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل لمعان، ثم غلبت على غيرها بعد ذلك من قريب أو بعيد.

د-العلم بوجوه هداية البشر كلهم بالقرآن.

هـ-العلم بسيرة الرسول ﷺ وأصحابه وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف .[39]

لقد أكد الإمام محمد عبده على طبيعة الأسلوب البياني من حيث هو قمة الإعجاز على المهتدين بهديه.

فالإمام في تفسيره يصل بين معنى الآيات برباط محكم من الفهم السليم وين إبراز الوحدة والاتساق بحيث تأخذ كل آية بحُجز الأخرى في نسق بياني معجز، وهذا ما أكد عليه في تفسيره .[40]

منهج الأستاذ محمد مصطفى المراغي في تفسيره للبيان:

فمن خلال تفسيره، فقد تأثر بالقدماء وأخذ من ثقافتهم من علوم العصر الحديث، واختار ما يتفق وطبيعة العصر، وحاجة المجتمع إلى إمكانات المراغي الكبيرة من خلال أسلوبه لكن الباحث لم يتوصل إلى منهج بياني محدد إلا مقتطفات لغوية ولفتات أدبية فسر بعضها ممن عنوا بتفسير القرآن الكريم .[41]

الشيخ عبد القادر المغربي.[42]

سار الشيخ على خطى أستاذه الإمام في تأثره العميق في أفكاره ومنهجه التفسيري لا سيما في (جزء عمّ) مع شيء من التوسّع في مباحثه اللغوية مراعيا القراء.

إن الأستاذ عبد القادر المغربي يعد من المعاصرين ومن مدرسة الإمام التفسيرية، وقد أوضح منهجه اللغوي في كتابه (الأخلاق والواجبات) عندما فصّل في تفسير الآيات مستندا في أحكامه على اللغة والحديث وأشعار العرب وأمثالها وهذا عينه ما نهجه الإمام محمد عبده، والسيد رشيد رضا الذي يميز تفسير الأستاذ المغربي أنه يسرد الآيات والجمل ويفسرها بموجز من القول [43].

جهود الأستاذ أمين الخولي [44].

لقد رسم الأستاذ الخولي منهجه البياني من خلال دعوته إلى ضرورة وجود معجم اشتقاقي تندرج فيه دلالات الألفاظ، وتتمايز فيه المعاني اللغوية على ترتيبها عن المعاني الاصطلاحية على ظهورها، فالمفسّر لا يمكن أن يستغنى في النظر في المادة اللغوية على ترتيبها عن المعاني الاصطلاحية، ليأخذ المعنى اللغوي والنظر في تدرج المادة مرتبة في الغالب على الأسبقية والقدم ثم ترجيح المعنى اللغوي للكلمة، والانتقال إلى معناها الاستعمالي في القرآن الكريم متتبعا ورودها فيه كله، ثم ينظر فيه ليخرج برأي عند استعمالها، ومناسبتها المتغيرة، وماهي معانيها المتعددة التي استعملها القرآن إلى أن يهتدي للوصول إلى معناها اللغوي والاستعمالي في القرآن.[45]

يتضح منهج الخولي عندا طبقه في كتاباته، لا سيما (من هدي القرآن و(في أموالهم) حيث نجده يتتبع اللفظ القرآني إلى أن يصل إلى تفسير لغوي مقنع من خلال عقد مقارنات عدة، هذا المنهج طبّقته بوضوح زوجته عائشة عبد الرحمن[46] رحمها الله.

إن أكثر علماء الإعجاز درسوا البلاغة العربية وأرخولها وطوروا دراستها، لأنهم كانوا مؤمنين بأن دراسة البلاغة وسيلة لغاية أسمى، وهي إعجاز القرآن البياني.

أسس المنهج الأدبي عند الخولي.

-دراسة النص نفسه.

1-دراسة في المفردات من ناحيتين.

أ-من ناحية معناها اللغوي.

ب-من ناحية معناها الاستعمالي في القرآن.

جـ-دراسة في المركبات.

تطبيق النظر في المركبات.

-النظرة البلاغية.

-التأمل العميق في التراكيب والأساليب القرآنية.

وفي العصر الحديث ظهرت دراسات بيانية للقرآن كله أو بعضه دفعت بهذا الاتجاه خطوات للأمام وسارت به شوطا بعيدا منها ﴿في ظلال القرآن﴾ لسيد قطب، و﴿من منهل الأدب الخالد﴾ لمحمد مبارك و﴿التفسير البياني للقرآن الكريم﴾ لعائشة عبد الرحمان .[47]

من خلال ما عرضناه نجد أن المنهج الأدبي البياني يتجه إلى اللغة أكثر من غيره، لأنه يدرس المفردة القرآنية أو دلالتها أو سياقها وموارد وجودها في القرآن فهو منهج لغوي غلبت عليه التسمية البيانية، وإن كان جوهره يمس البيان العربي.

حسب ما سبق يمكن تحديد خطوات التحليل البياني:

1-فهم وتحديد المعنى الإجمالي للآيات.

2-تحديد وشرح المعاني الدقيقة للمفردات واستعمالاتها السياقية المختلفة، ومقارنة كيفية ورود ما في المعجم الإفرادي القرآني، وهذا يفتح لنا آفاقا واسعة لتتبع المعنى في الآيات الكريمات.

3-ذكر الأساليب الواردة في الآيات وأغراضها البلاغية.

4-تحديد نمط عر ض الآيات من وصف أو سرد أو حوار أو غيره.

5-ذكر الظواهر اللغوية الخاصة حسب الآيات المستشهد بها.

6-شرح الصور البيانية والكشف عن أسرارها.

7-تتبع الفاصلة القرآنية ومدى مناسبها للسورة.

فضل ومزايا الدراسة البيانية أمثلة تطبيقية:

-قال تعالى: ﴿ **هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلا وَأَغْلالاً وَسَعِيراً إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ﴾.[48]

ذكر موضوع الآيات: في الآيات الكريمات يحس الإنسان أنه قد قطع الرحلة الطويلة في لحظات، وهي رحلة تبدأ قبل خلق الإنسان، يوم أن لم يكن شيئا مذكورا، حتى ينتهي به الأمر إما إلى الجنة أو إلى النار...فهي صورة تضحم في خلالها الحياة الدنيا والآخرة كليهما في بضع فقرات قصار [49]وهذا من الإعجاز البياني.

استهلت السورة الكريمة باستفهام بلاغي غرضه التقرير، وجاء ذلك للتشويق ولفت الانتباه، ولقد أفاض الزركشي في البرهان في كيفية افتتاح سور القرآن الكريم، منها ما استفتح بالحروف المقطعة، ومادة الحمد، ومادة القول، ومادة التسبيح، والاسم الموصول والقسم وغيرها من الافتتاحات البيانية.

تأتي الآيات مؤكدة بأن لتنزيل المشركين منزلة من ينكر أن الله خلق الإنسان لعدم جريهم على موجب العلم حيث عبدو أصناما لم يخلقوهم.[50]

-نطفة مفرد، وأمشاج اختلف فيه.

فأمشاج: مشتق من المشج وهو الخلط، أي نطفة مخلوطة، وصيغة﴿ أمشاج﴾ ظاهرها صيغة جمع وعلى ذلك حملها الفراء وابن السكّيت والمبرد، والوجه ما ذهب إليه صاحب الكشاف أن﴿أمشاج﴾ مفرد.

فإذا كان﴿أمشاج﴾ في هذه الآية مفردا كان على صورة الجمع كما في الكشاف فوصف نطفة به غير محتاج إلى تأويل، وإذا كان جمعا كما جرى عليه كلام الفراء وابن السكيت والمبرد، كان وصف النطفة به باعتبار ما تشتمل عليه النطفة من أجزاء مختلفة الخواص، فوصف النطفة بجمع الاسم للمبالغة، أي شديدة الاختلاط، وهذه الأمشاج منها ماهو أجزاء كيميائية نباتية أو ترابية ومنها ماهو عناصر قوى الحياة.[51]

وحقيقة الابتلاء: الاختبار لتعرف حال الشيء وهو كناية عن التكليف بأمر عظيم لأن الأمر العظيم يظهر تفاوت المكلفين به في الوفاء بإقامته.[52]

ترتيب السمع قبل البصر، لتناسب وانسجام الفواصل القرآنية، وفيها إعجاز علمي يتمثل في وجود منطقة السمع في الدماغ قبل البصر فبالسَمع يتلقى الإنسان الشرائع ودعوة الرسل، وبالبصر ينظر في أدلة وجود الله وبديع صنعه.

ثم جاءت بعد هذه الآية: (**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**) لما كان الشكر قل من يتصف به، قال شاكرا، فعبر عنه باسم الفاعل للدلة على قلّته، ولما كان الكفر كثيرا، فعبّر عنه باسم الفاعل للدلالة على قلّته، ولما كان الكفر كثيرا من يتصف به، ويكثر وقوعه من الإنسان قال كفورا ، فعبّر عنه بصيغة المبالغة.

-وأصل﴿أعْتدْنا﴾ أعددنا بدالين، أي هيئنا للكافرين، يقال: اعتدّ كما يقال: أعدّ، وقد تردد أئمة اللغة في أن أصل الفعل بدالين أو بتاء ودال فلم يجزموا بأيهما الأصل لكثرة

ورود فعل: أعدّ وفعل اعتدّ في والأظهر أنهما فعلان نشأ من لغتين غير أن الاستعمال خصّ الفعل ذا التاء بعُدّة الحرب فقالوا: عتاد الحرب ولم يقولوا عداد.[53]

﴿شاكرا﴾ مذكور قبل ﴿كفورا﴾ ثم فصّل لما أعدّه الكافرين وأخر ذكر جزاء الأبرار على طريقة اللف والنشر المعكوس ليتسع المجال لإطناب الكلام على صفة جزاء لشاكرين وما فيه من الخير والكرامة تقريبا للموصوف من المشاهدة المحسوسة.

سورة هود قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (96) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ**﴾.[54]

فمرة يبدأ الموقف في الحياة الدنيا، ثم تمضي بقيته، فإذا نحن فجأة، وبدون أن ندري مع نهايته في الحياة الآخرة...فهذا فرعون يؤم قومه في الدنيا فإذا به يكمل الشوط معهم إلى النار في الآخرة.[55]

في السورة الكريمة استعارة مكنية لأن الورود في الأصل يُقال المرور على الماء للاستسقاء منه، فشبه النار بماء يورد وحذف ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الورود، وشبّه فرعون في تقدّمه على قومه بمنزلة من يتقدم على الواردين إلى الماء ليكسر العطش وقوله (بئس الورد المورود) تأكيد له لأن الورد إنما يورد لتسكين العطش وتبريد الأكباد، وفي النار إلهاب للعطش وتقطع للأكباد.

مميزات التفسير البياني:

1-تلخيص الفكرة العامة للسورة أو النص القرآني، وبسط ما تضمنه من أفكار، وإذا حوت السورة أو النص أكثر من فكرة واحدة لزم ربط الأفكار الفرعية برابطة مناسبة تجمع شملها وتقارب بينها.

2-عرض الطريقة التي تم بها التعبير عن تلك الأفكار والمعاني المرادة، كأن يكون التعبير قائما على العرض المباشر أو على الوصف أو السرد القصصي أو الترغيب والترهيب وإثارة المشاعر.

3-التركيز على فهم الألفاظ القرآنية بربط اللفظة الواحدة بدلالتها المختلفة في مواضع ورودها في القرآن، والموازنة بين هذه بين هذه الدلالات ومقارنتها والوقوف على طرق استخدامها.

4-إيجاد العلائق المناسبة بين ألفاظ الآية الواحدة، أ والنص ذي الفكرة الواحدة، العلائق التي تعين على إدراك تناسق تلك الألفاظ وإيقاعها المناسب وجرسها.

وفي نهاية هذه الموضوع فإن الغرض من التفسير البياني له مزايا وفصائل من أهمها:

1- إبراز مواطن الجمال الأسلوبي والإعجاز اللغوي.

2-بيان اشتراك الألفاظ بدلالات معينة يساعد في فهم النصوص القرآنية.

3-إجلاء وجوه الجمال في التعبير والسمو في الأداء والربط بين الأفكار.

الهوامش

1-الفيروزبادي، القاموس المحيط (نهج) تحقيق: مكتبة تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1987ص.266

2-ندى جميل اسماعيل، قاموس الدليل الشامل، المركز الثقافي اللباني، ط1، ص.544

3-ابن منظور، لسان العرب، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، (بين) القاهرة، د ت، 13/ .67

4-ابن منظور، لسان العرب، 16، .214

5-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4/ 504.

6-الفيروزبادي، القاموس المحيط، 2/ 114.

7- ابن منظور، لسان العرب، 6/ 361.

8- ابن منظور، لسان العرب، 5/ 55.

9- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 2/ 148.

10- عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، مطبعة شبرا، القاهرة، 1359هـ/ 1/ 471.

11- بكري الشيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، ط7، لبنان، 2004، ص98.

12- ابن هشام الأنصاري، السيرة النبوية، تحقيق، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، دار القلم، بيروت، دت، 1/ 342.

13- عقيد خالد العزاوي، المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث، دار العصماء، سوريا، ط1، 2012، ص28.

14- المرجع السابق، نفسه، ص38.

15- بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم، ص150.

16- مصطفى الجويني، مناهج في التفسير، منشأة المعارف العامة الاسكندرية، ط1، د ت، ص77-78.

17- بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم، ص151.

18-عقيد خالد العزاوي، المنهج البياني في تفسير القرآن، ص43.

19- الجاحظ، البيان والتبيين، ص33.

20- المائدة: .4

21- بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم، ص.155

22- محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار ابن كثير، دمشق، ط7، 1999م، ج3، ص.180

23-خالد العزاوي، المنهج البياني، ص48.

24-بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم، ص160.

25-صلاح الدين محمد عبد التواب، النقد الأدبي، دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2003م، ص95.

26-الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل، بتحقيق وتعليق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، ط دار المعارف بمصر 1956، ص64.

27- صلاح الدين محمد عبد التواب، النقد الأدبي، ص123.

28- النمل: 6.

29- النمل: 7.

30- طه: 10.

31- القصص: 29.

32- الطور: 34.

33- الجمعة: 5.

34-عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، دار الفكر العربي، بيروت، تحقيق سعيد محمد اللحام، ط1، 1995، ص61-62.

35- فهد خليل زايد، الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1، 2008، الأردن، ص296.

36- محمد عبده، المنار، دار المنار للنشر، مصر، ط4، 1954، 1/ 17.

37- محسن عبد الحميد أحمد، تطور تفسير القرآن قراءة جديدة، مطبعة وزارة التعليم العالي، بغداد، ط1، 1989، ص21.

38- عقيد خالد العزاوي، المنهج البياني في تفسير القرآن، ص74.

39- محمد عبده، المنار، 1 ص19.

40-عقيد خالد العزاوي، المنهج البياني، ص78.

41- المرجع نفسه، ص108.

42- عبد القادر بن مصطفى المغربي الطرابلسي (1868-1956) نائب رئيس المجتمع العربي بدمشق من علماء اللغة والأدب، أصله من البلاد التونسية.

43- عقيد خالد العزاوي، المنهج البياني، ص112-116.

44- محمد بن عبد العزيز علي الشاذلي الخولي، واعظ ومفسر محدث فقيه ولد سنة (1895-1966 من أعضاء المجتمع اللغوي بمصر ولد في ثرية شوشاي بالمنوفية وتعلم بالأزهر، وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي وعيّن أستاذا في الجامعة المصرية (القديمة) ثم وكيلا لكلية الآداب إلى سنة 1953 فمديرا للثقافة العامة.

45- عقيد خالد العزاوي، المنهج البياني، ص122-123.

46-عائشة عبد الرحمن (1913-1998) أديبة كاتبة عربية من دمياط ودرست مناهج الأزهر، حصلت على الماجستير عام 1941 والدكتوراه (1950) لها مؤلفات عديدة أهمها (التفسير البياني) و(الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق).

47- فهد خليل زايد، الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، ص296.

48- الإنسان: 1-6.

49- صلاح الدين محمد عبد التواب، النقدالأدبي، ج3، ص.57

50- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1984، الجزء29، ص.371

51- المصدر نفسه، ص.374

52-المصدر نفسه، ص.375

53- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص.377

54- سورة هود: 96-98.

55-صلاح الدين محمد عبد التواب، النقد الأدبي، ج3، ص57.